

حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ

لسماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد:

فهذه رسالة لطيفة مختصرة حول [حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ] رأينا نشرها للناس؛ لدعاء الحاجة، بل والضرورة لذلك، ولما نرى من جهل كثير من المسلمين، فضلاً عن غيرهم بحقيقة شهادة أن محمداً رسول الله، ووقوعهم فيما يخالفها مما يناقضها، أو يضاد كمالها، أو ينقص به إيمان العبد بها.

فكان لزاماً أن نبين ذلك؛ نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ امتثالاً لأمر الله سبحانه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩] وقوله ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿[الغاشية: ٢١، ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات.

ولقوله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قَالَ الصَّحَابَةُ: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١). رواه مسلم.

(١) [صحيح مسلم] للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، ط / المكتبة الإسلامية - استنبول - تركيا

فواجب على كل من عرف الحق بدلائله أن يبينه، وينشره بين الناس، سيما في هذه الأزمان التي اشتدت فيها غربة الإسلام، وبات المعروف فيها منكراً، والمنكر فيها معروفاً، وقل من يرفع رأسه بالحق ويظهره، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وسلوانا قول الرسول ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(١).

فأسأل الله العلي القدير: أن يمن علينا بالهداية إلى الصواب، والتوفيق للحق والسداد، وأن يلهمنا رشدنا، ويقينا شر أنفسنا، ويرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يصلح لنا النية والعمل، وأن ينفع بما قيدناه في هذه الرسالة كل من اطلع عليها، ويجعلنا وإخواننا المسلمين من المتعاونين على البر والتقوى، إنه - سبحانه - جواد كريم.

للبحوث العلمية والإفتاء

(١) [صحيح مسلم] (١/ ١٣٠) رقم الحديث (١٤٥).

تمهيد

وقبل البدء في ذلك أمهد بمقدمة أرى أنها نافعة.

فأقول مستعينا بالله:

لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح أمر ملائكته بالسجود له، وكان إبليس من الجن، وليس من الملائكة، وإنما دخل في خطابهم لتوسمه بأفعال الملائكة وتشبهه بهم، وتعبدته وتنسكه، لكن حين أمروا بالسجود وسجد الملائكة، لم يسجد إبليس اللعين: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] ويقول - سبحانه - في سورة الكهف: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠] الآية. أبى أن يسجد لآدم كبرا وحسدا وبغيا، فكان عقابه أن طرد من رحمة الله، وحلت عليه لعنة الله، لكن الخبيث ازداد بغيه، وعظم حقه على آدم وذريته، وطلب من الله الإنظار إلى يوم القيامة، فأنظره الله، عند ذلك قال - كما قص الله خبره: ﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا تَنَالُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

والمعنى: أنه أقسم أن يضل عباد الله من بني آدم عن طريق الحق وسبيل النجاة؛ لئلا يعبدوا الله ولا يوحده، ويسلك شتى الطرق لصدهم عن

الخير وتحبيب الشر لهم.

ومثله قوله تعالى قاصا خبره: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿ [الحجر: ٣٩، ٤٠] وقوله سبحانه: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَآتِيَنَّكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٢].

فلم يزل بآدم ﷺ وذريته؛ وسوسة وإغواء وإضلالا، حتى تسبب في إهباط آدم من الجنة، وقتل ابن آدم لأخيه، ولم يكفه هذا، فلما مر ببني آدم الزمان، وطال عليهم العهد بالنبوة - حَسَنَ إليهم الشرك، وأغواهم، فكان له ما أراد، وصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه، ووقعوا في الشرك، «وَكَانَ أَوَّلَ ذَلِكَ زَمَنُ قَوْمِ نُوحٍ حِينَ عَبْدُوا الْأَصْنَامَ: وَدًّا، وَسُوعًا، وَيَعُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرًا، وَكَانَتْ هَذِهِ أَسْمَاءَ رَجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ﷺ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوَهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبدَتْ، هَذَا مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا» كما في البخاري^(١).

وروى ابن جرير، عن محمد بن قيس قال: «كَانُوا قَوْمًا صَالِحِينَ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَكَانَ لَهُمْ أَتْبَاعٌ يَقْتَدُونَ بِهِمْ، فَلَمَّا مَاتُوا قَالَ أَصْحَابُهُمْ

(١) [صحيح البخاري] للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ط / المكتبة الإسلامية - إستانبول - تركيا

الَّذِينَ كَانُوا يَقْتَدُونَ بِهِمْ: ثَوَّ صَوْرَتَاهُمْ كَانَ أَشَوْقَ لَنَا إِلَى الْعِبَادَةِ إِذَا ذَكَرْنَاَهُمْ، فَصَوَّرُوهُمْ، فَلَمَّا مَاتُوا وَجَاءَ آخَرُونَ دَبَّ إِلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَبِهِمْ يُسْقَوْنَ الْمَطَرُ، فَعَبَدُوهُمْ»^(١).

هكذا بدأ الشرك في بني آدم، بسبب إغواء إبليس لهم، لكن الله - سبحانه - بحكمته وعلمه ورحمته بعباده لم يتركهم هملاً يغويهم إبليس وجنده، بل أرسل إليهم الرسل؛ لتبين لهم الدين الحق، وتحذرهم من الشرك والضلال؛ رحمة منه بعباده، وإقامة للحجة عليهم: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢] ويقول سبحانه: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥] ويقول سبحانه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿[الأنعام: ٤٨، ٤٩].

وفي [الصحيحين] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ ﷻ؛ وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ»^(٢) وفي لفظ

(١) [تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن] لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، حققه

وعلق حواشيه محمود محمد شاكر، توزيع / دار التربية والتراث - مكتة المكرمة (٢٣ / ٦٣٩).

(٢) [صحيح البخاري] (٥ / ١٩٤) [وصحيح مسلم] (٤ / ٢١١٤) رقم الحديث (٢٧٦٠) (٣٤) واللفظ له.

لمسلم: «مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ»^(١) وفي [الصحيحين] من حديث سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه: «وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ»^(٢).

فأرسل الله الرسل إقامة للحجة على عباده وإعذارا لهم، وهذه الرسالات من نعم الله على خلقه أجمعين؛ إذ حاجة العباد إليها فوق كل حاجة، وضرورتهم إليها فوق كل ضرورة، فهم في حاجة إلى الرسالة أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب والدواء، إذ قصارى نقص ذلك أو عدمه تلف الأبدان، أما الرسالة ففيها حياة القلوب والأديان، بل والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(٣).

أرسل الله الرسل، وجعلهم بشرا من أقوام المرسل إليهم، وبلسانهم؛ ليبينوا لهم الدين الحق: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

(١) [صحيح مسلم] (٤ / ٢١١٤) رقم الحديث (٢٧٦٠) (٣٥).

(٢) [صحيح البخاري] (٨ / ١٧٤)، و [صحيح مسلم] (٢ / ١١٣٦) رقم الحديث (١٤٩٩) واللفظ له.

(٣) انظر [مجموع الفتاوى] لشيخ الإسلام ابن تيمية - جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٩٩ / ٩٩).

وكل أمة بعث فيها رسول، قال ﷺ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ [يونس: ٤٧]
وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

بعثوا جميعا بدين واحد وهو الإسلام، إخلاص الدين لله، وتجريد التوحيد له سبحانه، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وفي الحديث عنه ﷺ: «الأنبياءُ إخوةٌ لِعَلَاتٍ، أمهاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»^(١) متفق عليه، وكذلك أيضاً كل رسول يأمر قومه بطاعته؛ إذ هذا مقتضى الرسالة، يقول ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

ولم تزل الرسل تتابع إلى أقوامهم لدعوتهم إلى التوحيد ونبذ الشرك ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، الآية إلى أن جاء موسى وبعده عيسى - عليهما السلام، وظهرت في كتبهما البشارة بالنبى محمد ﷺ.

يقول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُثُ لَهُ،

(١) [صحيح البخاري] [٤ / ١٤٢] واللفظ له، و [صحيح مسلم] [٤ / ١٨٣٧] رقم الحديث (٢٣٦٥) (١٤٥) من

مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿١٥٧﴾ وَيَقُولُ ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] وبعد أن رفع عيسى عليه السلام، و طال بني آدم العهد قبل بعثة النبي ﷺ حمل إبليس بخيله ورجله على بني آدم، فأضلهم ضلالا بعيدا، وأوقعهم في الكفر والشرك والضلال بصنوفه إلا قليلا منهم، وبلغ من حالهم أن مقتهم الله - سبحانه - عربهم وعجمهم إلا القليل.

ثم بعث النبي محمد ﷺ الذي يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهِدَّةٌ»^(١).

بعث والحال كما أخبر به ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم في [صحيحه] عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، حيث قال ﷺ في خطبته: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا. وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ

(١) أخرجه الحاكم في (مستدرکه) وصححه، ووافقه الذهبي، والبخاري في (الصغير) بلفظ

(بعثت رحمة مهداة)، والطبراني في (الأوسط) والشهاب في (مسنده)، وهو بمجموع الطرق حسن،

وجاء في (صحيح مسلم) عنه ﷺ: إني لم أبعث لعانا، إنما بعثت رحمة....

الْكِتَابِ. وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لَأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسُلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُوهُ نَائِمًا وَيَقْظَانُ^(١).. الحديث .

فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله ﷺ بعثه رحمة للعالمين، ومحجة للسالكين، وحجة على الخلائق أجمعين، أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فختم به الرسل، وهدى به من الضلال، وعلم به من الجهالة وفتح برسالته أعينا عميا، وأذانا صما، وقلوبا غلفا، فأشرفت الأرض بعد ظلماتها، وتألقت به القلوب بعد شتاتها، فأقام به الملة العوجاء، وأوضح به المحجة البيضاء، ورفع الله به الآصار والأغلال، وجعل رسالته عامة للإنس والجان: ﴿أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبا: ٢٨] ﴿فَلْيَأْتِيَهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

أرسله الله على حين فترة من الرسل، ودروس من الكتب، حين حرف الكلم، وبدلت الشرائع، واستند كل قوم إلى أظلم آرائهم، وحكموا على الله وبين عباد الله بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم، فهدى الله به الخلائق، وأوضح به الطريق، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وأبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفرق به ما بين الأبرار والفجار، وجعل الهدى والفلاح في اتباعه وموافقته، والضلال والشقاء في معصيته ومخالفته، رؤوف رحيم بالمؤمنين، حريص على هداية الخلق

(١) [صحيح مسلم] (٤ / ٢١٩٧) رقم الحديث (٢٨٦٥) (٦٣).

أجمعين، عزيز عليه عنادهم وتعنتهم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

خلاصة دعوته: البشارة، والندارة، والدعوة إلى الله ببصيرة وحكمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

هو خاتم الأنبياء، وشريعته وكتابه المهيمن على سائر الشرائع والكتب الناسخ لها: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ويقول ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

شرح الله صدره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة على من خالف أمره، ورفع له ذكره، فلا يذكر الله - سبحانه - إلا ذكر معه، كفى بذلك شرفا، وأعظم ذلك الشهادتان، أساس الإسلام، ومفتاح دار السلام، عاصمة الدماء والأموال والأعراض، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ.

فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله سبحانه.

وأركانها: النفي والإثبات: (لا إله) نافيا جميع ما يعبد من دون الله، (إلا الله) مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له.

وشروطها: العلم، واليقين، والقبول، والانقياد، والصدق،

والإخلاص، والمحبة، وزاد بعضهم شرطاً ثامناً وهو: الكفر بما عبد من دون الله.

وتحقيق هذه الشهادة: ألا يعبد إلا الله، وحققها: فعل الواجبات، واجتناب المحرمات.

هذه جمل مختصرة في (شهادة أن لا إله إلا الله)، أما تفاصيلها فلا تحتملها هذه الكلمة اليسيرة.

ولما كان البحث في حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، كان من المناسب أن نورد طرفاً مما تمس الحاجة إلى العلم به من ذكر نسبه ومولده ومبعثه ووفاته ﷺ، ثم ذكر شيء من أسمائه وخصائصه وصفاته الخلقية والخلقية، صلوات الله وسلامه عليه.



فصل

في نسب النبي ﷺ

يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] جاء في بعض القراءات: «من أنفسهم» بفتح الفاء، أي: أنسبهم.

وفي [صحيح مسلم] من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(١) وفي [الصحيحين] من حديث أبي سفيان رضي الله عنه، وقصته مع هرقل، وسؤال هرقل له عن رسول الله ﷺ، فكان فيما سألته أن قال: «كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ إِلَيَّ أَنْ قَالَ هِرْقُلُ لِأَبِي سُفْيَانَ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا».^(٢) هذا لفظ البخاري.

فظهر بهذا أنه أكرم الناس نسبا، فهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن

(١) [صحيح مسلم] (٤ / ١٧٨٩) رقم الحديث (٢٢٧٦).

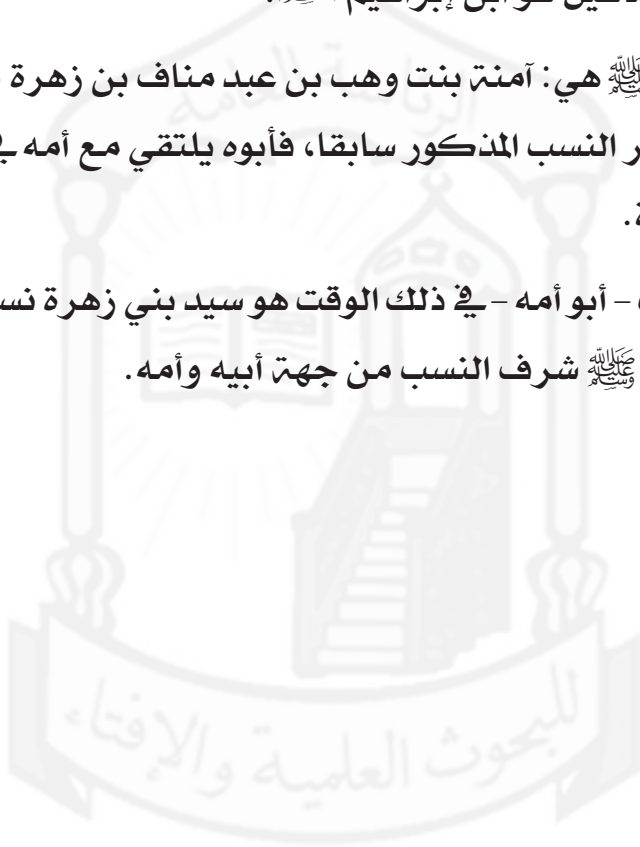
(٢) [صحيح البخاري] (١ / ٥٦، ٥)، و [صحيح مسلم] (٣ / ١٣٩٣ - ١٣٩٧) رقم الحديث (١٣٧٣).

مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ونسبه ﷺ إلى هنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، لا خلاف فيه بينهم، وما فوق عدنان مختلف فيه، وعدنان من ولد إسماعيل نبي الله ﷺ، وإسماعيل هو ابن إبراهيم ﷺ.

وأم النبي ﷺ هي: آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة إلى آخر النسب المذكور سابقا، فأبوه يلتقي مع أمه في جدهما: كلاب بن مرة.

وكان وهب - أبو أمه - في ذلك الوقت هو سيد بني زهرة نسبا وشرفا، فاجتمع للنبي ﷺ شرف النسب من جهة أبيه وأمه.



فصل

في مولده صلى الله عليه وسلم

ولد النبي ﷺ عام الفيل، بلا خلاف نعلمه بين أهل السير.

وولادته: كانت يوم الإثنين جزما؛ لقوله ﷺ لما سئل عن صوم يوم الإثنين، قال: «ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ -أَوْ- أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ»^(١).
أخرجه مسلم من حديث قتادة رضي الله عنه.

أما شهر الولادة وتاريخها فقد اختلف فيه:

ف قيل: في ثاني عشر من شهر ربيع الأول.

وقيل: بل في الثامن منه.

وقيل: بل ولد في رمضان.

وقيل: ولد في سبع وعشرين من رجب، وهو أغربها.

(١) [صحيح مسلم] (١ / ٨١٩) رقم الحديث (١١٦٢) (١٩٦).

فصل

في مبعثه ﷺ

وأوحى إليه ﷺ وهو ابن أربعين، وكان أول بدء الوحي أنه كان يتحنث في غار حراء، وفي مرة من المرات أتاه جبريل عليه السلام فغطه غطة ثم أرسله، فقال: اقرأ. الحديث، فكان هذا مبدأ أمره ﷺ.

عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها قالت: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ اتَّعَبِدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ②﴾ [العلق: ١-٣] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُوَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ: لَخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا،

وَاللَّهُ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ، حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبْرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذْعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْمُخِرْجِي هُمْ؟!» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيَ^(١). أخرجہ البخاری .

فصل

في وفاته ﷺ

يقول الله ﷻ مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]
ويقول سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ
أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ويقول ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا
لِشَرِّ مَنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإَيْنَ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وقد مات ﷺ بعد أن أدَّى الأمانة وبلغ رسالته ربه، وجاهد في الله حق
الجهاد، ونزل القرآن شاهدا له ﷺ في آخر حياته، فقد نزلت آية المائدة:
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقد نعى الله - سبحانه - إلى نبيه ﷺ أجله حين أنزل
الله عليه سورة النصر، ففي [صحيح البخاري] عن ابن عباس - رضي الله
عنهما - قال: «كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحٍ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي
نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلِهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مِنْ
حَيْثُ عَلِمْتُمْ. فَدَعَا ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُؤِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ
إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ
وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ
إِذَا نَصَرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي:
أَكْذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ
أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾

[النصر: ١] وَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجْلِكَ، ﴿فَسِيحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣] فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ^(١).

وقبيل وفاته ﷺ خير بين زهرة الدنيا وبين ما عند الله.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ: «إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَيَبِينَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِأَبَانِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجَبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَيَبِينَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِأَبَانِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخِيرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمُنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَمَنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَا تَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلَّا خَلَّةَ الْإِسْلَامِ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ»^(٢) متفق عليه.

وجاء في [صحيح البخاري] من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ»^(٣) فذكره بنحوه.

(١) [صحيح البخاري] [٦ / ٩٤].

(٢) [صحيح البخاري] [٤ / ٢٥٣، ٢٥٤] واللفظ له، و [صحيح مسلم] [٤ / ١٨٥٤] رقم الحديث (٢٣٨٢).

(٣) [صحيح البخاري] [١ / ١٢٠].

ومسلم من حديث جندب: أَنَّ هَذِهِ الْخُطْبَةَ كَانَتْ قَبْلَ مَوْتِهِ ﷺ بِخَمْسٍ^(١).

ثم إن وفاة النبي ﷺ كانت كما يموت سائر البشر، لها سكرات، ثم فارقت روحه جسده، ثم ارتخى جسده ﷺ؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «إِنَّ مِنْ نَعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوْفِيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَخْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السَّوَاكُ وَأَنَا مُسْنَدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَاكَ، فَقُلْتُ: أَخْذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أَلَيْسَ لَكَ، فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: أَنْ نَعَمْ، فَلَيْنَتْهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكُودٌ أَوْ عُلبَةٌ - يَشْكُ عُمُرٌ - فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يَدْخُلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ^(٢).
أخرجه البخاري.

«وَكَانَ يَوْمُ وَفَاتِهِ ﷺ هُوَ يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ»، كما صح ذلك من حديثي: أنس^(٣) وعائشة^(٤) رضي الله عنهما، وأخرجه البخاري في [صحيحه].

(١) [صحيح مسلم] (١ / ٣٧٧) رقم الحديث (٥٣٢).

(٢) [صحيح البخاري] (٥ / ١٤١، ١٤٢).

(٣) المرجع السابق (١ / ١٦٥، ١٦٦).

(٤) نفس المرجع (٢ / ١٠٦).

وفي السنة الحادية عشرة من الهجرة باتفاق، وفي شهر ربيع الأول، قال ابن هشام في [السيرة النبوية] له: قالوا كلهم: وفي ربيع الأول. غير أنهم قالوا، أو قال أكثرهم: في الثاني عشر من ربيع، ولا يصح أن يكون توفّي ﷺ إلا في الثاني عشر من الشهر، أو الثالث عشر، أو الرابع عشر، أو الخامس عشر؛ لإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة، وهو التاسع من ذي الحجة، فدخل ذو الحجة يوم الخميس، فكان المحرم إما الجمعة وإما السبت، فإن كان الجمعة فقد كان صفر إما السبت وإما الأحد، فإن كان السبت فقد كان ربيع الأحد أو الإثنين، وكيفما دارت الحال على هذا الحساب، فلم يكن الثاني عشر من ربيع يوم الإثنين بوجه^(١) إلخ. «وَكَانَ عُمُرُهُ ﷺ يَوْمَ وَفَاتِهِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً»، كما صح ذلك عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم - كعائشة^(٢) - رضي الله عنها، وابن عباس^(٣) - رضي الله عنهما - وغيرهما.

وقد جرى له ﷺ فيما بين مبعثه إلى أن توفاه الله ﷻ أحداث عظيمة جسيمة، ومواقف نبوية كريمة، دعا فيها إلى سبيل ربه، وصبر وصابر، وجاهد وهاجر، واحتمل الأذى إلى أن كتب الله له ولصاحبه ولدينه الظهور والاستعلاء والنصر، فما مات ﷺ إلا وقد بلغ رسالات

(١) [السيرة النبوية] لابن هشام مع [الروض الأنف] في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام

السهيلي، تحقيق وتعليق وشرح / عبد الرحمن الوكيل (٧ / ٥٧٨، ٥٧٩).

(٢) [صحيح البخاري] (٤ / ١٦٣)، و [صحيح مسلم] (٤ / ١٨٢٥) رقم الحديث (٢٣٤٩).

(٣) [صحيح البخاري] (٤ / ٢٥٣)، و [صحيح مسلم] (٤ / ١٨٢٦) رقم الحديث (٢٣٥١).

ربه، فهو ﷺ قد توفى ودينه باق إلى يوم القيامة، وهو محفوظ بحفظ الله له، ظاهر بوعده الله بذلك، منصور عال على كل الملل والطوائف، وأهله المحققون له هم الغالبون ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْثُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّا جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿[الصفات: ١٧١-١٧٣]﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿[التوبة: ٣٣].﴾

والاعتناء بسيرته ﷺ وما قام به من نصرة دين الله والقيام بحقه وما لحقه من أذى في سبيل ذلك، وسيرته في جهاده لأعداء الله، وأنواع سيرته وهديه - كل هذا من الأمور التي ينبغي لكل مسلم العناية بها ومدارستها، إذ هي الحق المحض، وهي سيرة من جعل الله له الكمال البشري، سيرة سيد الخلق، وأعظمهم، وأكرمهم، وأفضلهم على الإطلاق. ولو ذهبنا نذكر شيئاً يسيراً من بعض جوانب سيرة هذا النبي العظيم ﷺ لاحتل المقام أسفاراً عظيمة، ولما وفينا المقام حقه، لكننا قصدنا بهذه الرسالة اللطيفة التنبيه على أهم المهمات في حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، مما لا بد لكل مسلم ومسلمة من معرفته وتحقيقه وتطبيقه؛ لينجوا من عذاب الله.

وقانا الله وإياكم وسائر إخواننا المسلمين موجبات سخط الله، وجعلنا وإياكم من المتعرضين لنفحات رحمته ﷻ، إنه - سبحانه - كريم جواد.

فصل

في أسمائه ﷺ

كثرة الأسماء دالة على عظم المسمى، وأسماء النبي ﷺ دالة على معان عظيمة، وأعظم أسمائه وهو العلم عليه ﷺ إذا أطلق اسمه (محمد)، وهو الذي سماه الله به في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ويقول سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢]، ويقول - سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وهو أجل أسمائه ﷺ، يقول حسان ابن ثابت رضي الله عنه:

وشق له من اسمه ليجله

فدو العرش محمود وهذا محمد

وأصل البيت لأبي طالب، ضمنه حسان رضي الله عنه قصيدته.

ومن أسمائه ﷺ: أحمد، وهو الاسم الذي ذكره عيسى عليه السلام في بشارته ببعثة النبي ﷺ، كما أخبر الله ﷻ عنه، فقال عز وجل: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

ومن أسمائه ﷺ: المتوكل، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه في ذكر صفة النبي ﷺ في التوراة، حيث جاء فيه «وَأَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيْتُكَ الْمُتَوَكِّلُ»^(١) الحديث. أخرجه البخاري، وسيأتي .

ومن أسمائه ﷺ ما جاء في حديث جبير بن مطعم - رضي الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ»^(٢) متفق عليه.

وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «سَمَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ أَسْمَاءً، مِنْهَا مَا حَفَظْنَا، وَمِنْهَا مَا لَمْ نَحْفَظْ، قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»^(٣) أخرجه مسلم.

ومعنى اسمه ﷺ (محمد): هو اسم منقول من الحمد، وهو في الأصل اسم مفعول من الحمد، وهو يتضمن الثناء على المحمود ومحبته، وإجلاله، وتعظيمه، وبني على زنة (مفعول) مثل معظم ومحبيب ومسود

(١) صحيح البخاري البيوع (٣/ ٢١) رقم الحديث (٢١٢٥).

(٢) [صحيح البخاري] (٤/ ١٦٢) و (٦/ ٦٢)، و [صحيح مسلم] (٤/ ١٨٢٨) رقم الحديث (٢٣٥٤).

(٣) [صحيح مسلم] (٤/ ١٨٢٨، ١٨٢٩) رقم الحديث (٢٣٥٥).

ومبجل ونظائرها، لأن هذا البناء موضوع للتكثير، فإن اشتق منه اسم الفاعل، فمعناه: من كثر صدور الفعل منه مرة بعد مرة، وإن اشتق منه اسم المفعول فمعناه: من كثر تكرر وقوع الفعل عليه مرة بعد أخرى؛ إما استحقاقا أو وقوعا، فمحمد هو الذي كثر حمد الحامدين له مرة بعد أخرى، أو الذي يستحق أن يحمد مرة بعد أخرى^(١) وأما الماحي والحاشر والعاقب فقد جاءت مفسرة في حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه المتقدم.

(١) انظر [جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام] لابن القيم، تحقيق - مشهور بن حسن سلمان، ص [٢٧٧].

فصل

في خصائصه ﷺ

النبي ﷺ هو سيد الخلق؛ ففي حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»^(١) أخرجه ابن حبان في [صحيحه] بهذا اللفظ، والترمذي^(٢) بزيادة: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قبل قوله: «وَلَا فَخْرَ»، وأصله في مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»^(٣).

قال العز: والسيد: من اتصف بالصفات العلية، والأخلاق السنية. وهذا مشعر بأنه أفضل منهم في الدارين، أما في الدنيا فلما اتصف به من الأخلاق العظيمة، وأما في الآخرة فلأن الجزاء مرتب على الأخلاق والأوصاف، فإذا فضلهم في الدنيا في المناقب والصفات، فضلهم في الآخرة في المراتب والدرجات.

وإنما قال ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»^(٤) لتعرف أمته منزلته

(١) [صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان] لابن بلبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه - شعيب الأرناؤوط

(١٤ / ١٣٥، ٣٩٢) رقم الحديث (٦٢٤٢، ٦٤٧٥) عن واثلة بن الأسقع .

(٢) [سنن الترمذي] (٥ / ٣٠٨) رقم الحديث (٣١٤٨).

(٣) [صحيح مسلم] (٤ / ١٧٨٢) رقم الحديث (٢٢٧٨).

(٤) [صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان] لابن بلبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه - شعيب الأرناؤوط

(١٤ / ١٣٥، ٣٩٢) رقم الحديث (٦٢٤٢، ٦٤٧٥) عن واثلة بن الأسقع .

من ربه ﷻ، ولما كان ذكر مناقب النفس إنما تذكر افتخارا في الغالب أراد النبي ﷺ أن يقطع وهم من توهم من الجهلة أن يذكر ذلك افتخارا فقال: «وَلَا فَخْرٌ»^(١) أهـ.

ومن خصائصه ﷺ: أن بيده لواء الحمد، وتحتة آدم فمن دونه؛ لقوله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ، بِيَدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ، تَحْتِي آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ»^(٢).

ومنها: أنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع، وله الشفاعة العظمى والمقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون.

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًّا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ أَشْفَعْ، يَا فُلَانُ أَشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ». أخرجه البخاري^(٣).

(١) [بداية السؤل في تفصيل الرسول ﷺ وشرف وكرم] تأليف - العلامة العز بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق - محمد ناصر الدين الألباني - ط / المكتب الإسلامي بيروت - دمشق ص (٣٤).

(٢) [صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان] (١٤ / ٣٩٨) رقم الحديث (٦٤٧٨)، و [مسند أبي يعلى] لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، دار البشير (١٣ / ٤٨٠) رقم الحديث (٧٤٩٣).

(٣) [صحيح البخاري] (٥ / ٢٢٨).

ومنها أنا أمرنا بسؤال الوسيلة له ﷺ بعد كل أذان، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(١) أخرجه مسلم.

ومن خصائصه ﷺ: أنه لا ينادى باسمه المجرد ﷺ تكريماً له، فإن الله تعالى وقره في ندائه، فناداه بأحب أسمائه، وأسنى أوصافه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤] و﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] وهذه خصيصة لم تثبت لغيره من الأنبياء، فإنه قد ثبت نداؤهم بأسمائهم ﴿يَا دَاوُدُ أَصْلَحْ﴾ [البقرة: ٣٥] ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ١١٠] ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] ﴿يَا نُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ [هود: ٤٨] ﴿يَا يَرْهِيمُ﴾ [١٠٤] ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا﴾ [الصفات: ١٠٤، ١٠٥] ﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨١] ﴿يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ [مريم: ٧] ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ [ص: ٢٦] ﴿يَبْحِثْ خُذِ الْكِتَابَ﴾ [مريم: ١٢].

ونهى الله عباده أن ينادوه باسمه المجرد فقال سبحانه: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] ومن خصائصه ﷺ: أن معجزات كل نبي تصرمت وانقرضت، ومعجزة سيد الأولين

والآخرين وهي القرآن الكريم باقية إلى يوم الدين، يقول النبي ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

ومنها أن الكتاب الذي أنزل عليه ﷺ قد تكفل الله ببقائه وحفظه من التحريف، يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ويقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُوهُ نَائِمًا وَيَقْظَان»^(٢) أخرجه مسلم من حديث عياض بن حمار رضى الله عنه.

ومنها ما جاء في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَإِذَا رَجُلٌ أَذْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيَّ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»^(٣). أخرجه البخاري ومسلم.

(١) [صحيح البخاري] (٦ / ٩٧)، و [صحيح مسلم] (١ / ١٣٤) رقم الحديث (١٥٢) عن أبي هريرة ؓ، واللفظ له.

(٢) [صحيح مسلم] (٤ / ٢١٩٧) رقم الحديث (٢٨٦٥).

(٣) [صحيح البخاري] (١ / ٨٦)، و [صحيح مسلم] (١ / ٣٧٠، ٣٧١) رقم الحديث (٥٢١) واللفظ له.

فصل

في أخلاقه ﷺ

يقول الله ﷻ في حق نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

يقول العز بن عبد السلام: (واستعظام العظماء للشيء يدل على إيغاله في العظمة، فما الظن باستعظام أعظم العظماء؟) (١).

وعن سعد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة - رضي الله عنها - فقلت: يا أم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله ﷺ، قالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، قُلْتُ: فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَبَلَّ، قَالَتْ: لَا تَفْعَلْ، أَمَا تَقْرَأُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] فَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ وُلِدَ لَهُ» (٢).

وقد أكمل الله له خلقه منذ صغره وقبل البعثة، فما عبد صنما، ولا شرب خمرا، ولا مضى في أمر سوء، وكان يعرف عند قومه بالصادق الأمين.

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: «لَمَّا بُنِيَتِ الْكَعْبَةُ، ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْعَبَّاسُ يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى عَاتِقِكَ مِنَ الْحِجَارَةِ، ففَعَلَ، فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ،

(١) [بداية السؤل] ص (٥٨).

(٢) [مسند الإمام أحمد] للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المطبعة الميمنية بمصر عام ١٣١٣ هـ (٦ / ٩١).

وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: «إِزَارِي، إِزَارِي، فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ»^(١)، متفق عليه، وقد نوه الله بأنواع من كريم أخلاقه وسجاياه ﷺ، فقال - سبحانه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال ﷺ: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وفي [صحيح البخاري] من حديث عطاء بن يسار قال: «لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ، قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحَرَزًا لِلْأَمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَضٍّ وَلَا غَلِيظَ، وَلَا سَخَابَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْضُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ أَلَمَةَ الْعُوجَاءِ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُُمَيَّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»^(٢).

ومن أخلاقه ﷺ: ما جاء في حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت:

(١) [صحيح البخاري] [٤ / ٢٣٣، ٢٣٤]، و [صحيح مسلم] [١ / ٢٦٧، ٢٦٨] رقم الحديث (٣٤٠) (٧٦)،

واللفظ له.

(٢) [صحيح البخاري] [٣ / ٢١].

«مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»^(١).

وفي [الصحيحين] «عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: فَخَدَمْتُهُ - أَيِ: النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لَمْ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا، وَلَا لَشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لَمْ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا»^(٢).

ومن أخلاقه ﷺ: تواضعه، ومداعبته للصغار: فعن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ الرَّسُولُ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسَبُهُ قَالَ: كَانَ فَطِيمًا، قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَاهُ قَالَ: «أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النَّغِيرُ؟» قَالَ: فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ»^(٣). متفق عليه.

(١) [صحيح البخاري] (٤ / ١٦٦، ١٦٧) واللفظ له، و [صحيح مسلم] (٤ / ١٨١٣) رقم الحديث (٢٣٢٧).

(٢) [صحيح البخاري] (٣ / ١٩٥)، و [صحيح مسلم] (٤ / ١٨٠٤) رقم الحديث (٢٣٠٩) (٥٢).

(٣) [صحيح البخاري] (٧ / ١١٩، ١٢٠)، و [صحيح مسلم] (٣ / ١٦٩٢، ١٦٩٣) رقم الحديث (٢١٥٠)، واللفظ له.

فصل

في صفاته الخلقية ﷺ

ونبينا ﷺ قد كمله الله سبحانه، ورزقه جمال الظاهر وجمال الباطن، فكان أحسن الخلق صورة، وأكملهم خلقا ﷺ.

والبحث في صفة النبي ﷺ الخلقية يستفيد منها المؤمن أموراً:

منها: زيادة الإيمان، فإن المسلم كلما كانت معرفته بالنبي ﷺ وأحواله وأوصافه وتفاصيل ما جاء به أكثر كلما كان ذلك مدعاة ليكون إيمانه به أكمل، ومحبه له أعظم.

ومنها: أنه قد جاء في حديث أنس رضي الله عنه المتفق على صحته: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ بِي، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ»^(١).

ومن جاء بعده ممن لم يره في حياته ﷺ ليس له طريق إلى معرفته إلا بصفاته، وقد جاءت مبينة بآثار صحيحة عن الصحابة رضي الله عنهم.

منها: حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «(كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكَبَيْنِ، لَهُ شَعْرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنِهِ، رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حُمْرَاءَ، لَمْ أَرْ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، قَالَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ:

(١) [صحيح البخاري] [٨ / ٧١، ٧٢]، و [صحيح مسلم] [٤ / ١٧٧٥] رقم الحديث (٢٢٢٦).

(إِلَى مَنْكِبَيْهِ) ^(١) أخرج البخاري.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَلِيعَ الْفَمِ، أَشْكَلَ الْعَيْنِ، مَنْهُوسَ الْعَقَبَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ لِسَمَاكَ: مَا ضَلِيعُ الْفَمِ؟ قَالَ: عَظِيمُ الْفَمِ، قَالَ: قُلْتُ مَا أَشْكَلُ الْعَيْنِ؟ قَالَ: طَوِيلُ شِقِّ الْعَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ: مَا مَنْهُوسُ الْعَقَبِ؟ قَالَ: قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقَبِ» ^(٢) أخرجه مسلم.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، شَتْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، ضَخَمَ الرَّأْسِ، ضَخَمَ الْكَرَادِيْسِ، طَوِيلُ الْمَسْرُبَةِ، إِذَا مَشَى تَكْفَأَ تَكْفُؤًا، كَأَنَّمَا انْحَطَّ مِنْ صَبَبٍ، لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ» ^(٣) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وعنه رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَخَمَ الرَّأْسِ، عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ، هَدَبَ الْأَشْفَارِ - قَالَ حَسَنٌ وَهُوَ أَحَدُ رِجَالِ السَّنَدِ: (الشَّافَرِ) مُشْرَبَ الْعَيْنِ بِحُمْرَةٍ، كَثَّ اللَّحْيَةِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ، شَتْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صُعْدٍ - قَالَ حَسَنٌ: تَكْفَأُ - وَإِذَا التَّفَتَ التَّفَتَ جَمِيعًا» ^(٤) أخرجه الإمام أحمد.

(١) [صحيح البخاري] (٤ / ١٦٥).

(٢) [صحيح مسلم] (٤ / ١٨٢٠) رقم الحديث (٢٣٣٩).

(٣) [سنن الترمذي] (٥ / ٥٩٨) رقم الحديث (٣٦٣٧).

(٤) [مسند أحمد] (١ / ٨٩، ١٠١).

ومعنى شثن الكف: أي غليظه، قال الزمخشري في [الفائق]: وهو مدح في الرجال، لأنه أشد لعصبهم، وأصبر لهم على المراس^(١).

والكراديس: هي: رؤوس العظام. وقيل: هي ملتقى كل عظمين ضخمين؛ كالركبتين والمرفقين والمنكبين، والمراد أنه ﷺ ضخم الأعضاء.

والمسربة: هي ما دق من شعر الصدر سائلا إلى الجوف، وفي [لسان العرب] قال سيبويه: ليست المسربة على المكان ولا المصدر، وإنما هي اسم للشعر^(٢) والصب: ما انحدر من الأرض. والصعد، قال في [النهاية]: (كأنما ينحط في صعد) هكذا جاء في رواية، يعني: موضعا عاليا يصعد فيه وينحط... إلى أن قال: والصُّعد - بضمتين: جمع صعود، وهو خلاف الهبوط^(٣)

(١) [الفائق في غريب الحديث] للزمخشري، ط / دار الفكر (٣ / ٣٧٧).

(٢) [لسان العرب] لابن منظور، ط / الدار المصرية للتأليف والترجمة (١ / ٤٤٨).

(٣) [النهاية في غريب الحديث والأثر] لابن الأثير، ط / دار إحياء التراث العربي (٣ / ٣٠).

فصل

في بيان حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ بالأدلة

أما حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ فهي متضمنة لأمر، رأسها وأساسها الإيمان به، وذلك بالإيمان واليقين التام بأنه رسول الله حقاً ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] وأن رسالته عامة للبشر، عربهم وعجمهم، يقول الله سبحانه: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] ويقول ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨].

ويقول ﷺ: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» ^(١) متفق عليه، ويقول أيضاً ﷺ «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» رواه مسلم ^(٢).

بل رسالته تعم الجن أيضاً: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ

(١) [صحيح البخاري] (١ / ٨٦) واللفظ له، و [صحيح مسلم] (١ / ٣٧٠، ٣٧١) رقم الحديث (٥٢١) من

حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) [صحيح مسلم] (١ / ١٣٤) رقم الحديث (١٥٣).

لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿[الأحقاف: ٢٩، ٣٢].

ومن الإيمان به: الإيمان بأنه ﷺ عبد لا يعبد، ورسول لا يكذب. ومن الإيمان به: الإيمان بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن كتابه القرآن الكريم هو آخر الكتب المنزلة المهيمن عليها، وشريعته هي الناسخة للشرائع قبلها، يقول ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] الآية، ويقول ﷺ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقد أجمع المسلمون على ذلك، وهو عندهم من العقائد الثابتة بيقين.

والإيمان بالرسول ﷺ قد جاءت به الآيات صريحة قاطعة للمعذرة، يقول الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠] ويقول سبحانه: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ويقول

- سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ؕ﴾ [النساء: ١٣٦].

بل إن الله أخذ ميثاق النبيين على الإيمان بمحمد ﷺ ونصرته، فلا يسع أحدا منهم لو كان حيا وقت بعثته ﷺ إلا اتباعه، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ؕ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ ءِصْرِي ؕ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا ؕ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢].

ومن حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والاستجابة لدعوته ﷺ فقد جعل الله طاعة الرسول طاعة له سبحانه، وقرن طاعته بطاعة الرسول في أكثر من موضع في كتابه، يقول ﷻ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ويقول سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤] ويقول ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وعلق الهداية على طاعته ﷺ فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وجعل من حقق طاعة الله ورسوله في زمرة أشرف الخلق فقال ﷻ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿النساء: ٦٩﴾.

بل علق على طاعة الله ورسوله الفوز العظيم، ألا وهو دخول الجنات، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

وأما تصديق خبره فهو حقيقة الشهادة، ولا تتم الشهادة إلا بتصديقه، وإلا كان كاذباً منافقاً، وقد أثنى الله على المسلمين بتصديقهم النبي ﷺ فقال ﷺ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد: الذي جاء بالصدق هو الرسول ﷺ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ هو رسول الله ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ قال: المسلمون.

وقد ذم الله من كفر بالرسول ﷺ وتوعده بأشد العذاب قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢] وقال في سورة المدثر فيمن كذب خبر الرسول ﷺ فيما جاء به من القرآن - يقول الله ﷻ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۖ ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ ۝١٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۖ ۝١٦ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۖ ۝١٧

إِنَّهُ، فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُنِيَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُنِيَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿المدثر: ١١ - ٢٦﴾.

بل إن سنة الله فيمن كذب رسله ماضية في نزول العذاب والهوان بهم، يقول الله - سبحانه: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص: ١٤] ويقول - سبحانه: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُلُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

ودليل الاستجابة لدعوته ﷺ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فأمر بالاستجابة للرسول ﷺ، وقرنها بالاستجابة لله - سبحانه وتعالى، وسمى ما يدعو إليه ﷺ حياة، لما فيه من نجاتهم وبقائهم، وحياتهم بالإسلام بعد موتهم بالكفر، وحذر من عدم الاستجابة للرسول ﷺ فقال سبحانه: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠] ومن حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله: محبته ﷺ ونصرته وموالاته وتعظيمه، وبعد وفاته ﷺ تكون النصره لسنته ﷺ.

فدليل محبته ﷺ قوله ﷺ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ

حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ^(١)، وفي حديث أنس عنه ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٢) متفق عليه، وقوله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»^(٣) الحديث.

وتوعد الله - سبحانه - من قدم محبة أحد - كائنا من كان - على محبة الله ورسوله، فقال - سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَحْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

ولما قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ - لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ». قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»^(٤) ودليل النصره والتعظيم قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ

(١) [صحيح البخاري] (٩ / ١)، من حديث أبي هريرة.

(٢) [صحيح مسلم] (٦٧ / ١) رقم الحديث (٤٤) (٧٠).

(٣) [صحيح البخاري] (١ / ٩، ١٠) و (٨ / ٥٦)، واللفظ له، و[صحيح مسلم] (١ / ٦٦) رقم الحديث (٤٣)

(٦٧، ٦٨) من حديث أنس.

(٤) [مسند الإمام أحمد] (٤ / ٣٣٦) واللفظ له، و [صحيح البخاري] (٧ / ٢١٨).

وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧]
 وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح:
 ٨، ٩] ويقول سبحانه: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ
 وَلَتُنْصِرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١].

ووصف طائفة من المؤمنين، وأثنى عليهم بقوله سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ
 الْمُتَهَجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
 وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨] ويقول سبحانه:
 ﴿إِلَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠] ويقول سبحانه: ﴿لَا
 تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]

ودليل الولاية قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ
 يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]، ويقول ﷺ: ﴿إِنْ نُوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ
 صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

ومما يدخل في حقيقة هذه الشهادة العظيمة: التسليم له ﷺ، وتحكيم
 شرعه، والتحاكم إليه، والرضا به، والدليل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ
 لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
 حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال - سبحانه - في صفة المؤمنين مثنيا عليهم ومشيدا بهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وقال - سبحانه - واصفا المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: ٤٧-٥٠] وقال - سبحانه - أيضا فاضحا أمرهم، مشددا في ترك طريقهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠، ٦١].

فتحكيم شرع الله وما جاء به الرسول ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، الأفراد على أنفسهم، وكذلك الحكام وولاة الأمر على رعاياهم ومن تحت أيديهم - واجب فرض متحتم، لا محيد عنه لمؤمن مسلم، بل هو من حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

ومن حقيقة هذه الشهادة العظيمة - شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ

الاعتداء والتأسي به ﷺ، واتباع سنته، والرد إليه في حياته عند التنازع، وإلى سنته بعد وفاته ﷺ، وتقديم سنته على رأي كل أحد كائنا من كان، والحذر من مخالفته ومشاقته ومحادثته ﷺ.

يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ولما ادعى أقوام محبة الله - سبحانه - أنزل آية الامتحان في سورة آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ويقول أيضا - جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ويقول ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُضُوا الْعَهْدَ بِمَا كُنْتُمْ تَعَاهِدُونَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَعْصُوا أَمْرَهُمْ وَلَا تَحْسَبُوا عَهْدَهُمْ كَالْعَهْدِ بَيْنَ اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنَّ اللَّهَ خَلَفَهُ بِمَا كُنْتُمْ تَعَاهِدُونَ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال - سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، قال ابن عباس - رضي الله عنهما: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!

وقال الشافعي - يرحمه الله: أجمع العلماء على أن من استبانته له

سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: عجت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. أهـ.

هذا قول أحمد فيمن اتبع رأي سفيان، وهو: الثوري الإمام الزاهد العابد الثقة الفقيه، إذا كان رأيه يخالف الحديث فكيف بمن هو دونه؟! ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَاكِبَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣] ويقول ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣].

هذه هي حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ بشيء من التفصيل والبيان. وقد أجمالها بعض أهل العلم - وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب - يرحمه الله - فقال في معناها: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

فصل

في حقوق النبي ﷺ على أمته

هذا وإن للمصطفى ﷺ على أمته حقوقا عظيمة:

منها: ألا يخاطب كما يخاطب سائر الناس، بل يخاطب باحترام وأدب، فيقال: رسول الله ﷺ، نبي الله ﷺ، ولا يقال: محمد، أو محمد بن عبد الله، ونحو ذلك، يقول الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] الآية.

ومنها أيضا: سؤال الله الوسيلة له ﷺ؛ لقوله ﷺ: «ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(١) رواه مسلم، ومنها أيضا: الصلاة والسلام عليه ﷺ، وهي في الصلاة واجبة، بل عدها بعض العلماء ركنا لا تصح الصلاة إلا بها. وتتأكد عند ذكره ﷺ، ويوم الجمعة، وليلتها، وعند الدعاء، إلى غير ذلك^(٢).

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(١) [صحيح مسلم] (١ / ٢٨٩) رقم الحديث (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) وقد بسط ذلك بسطا نافعا ومفيدا العلامة ابن قيم الجوزية في كتابه النافع القيم (جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام) فليراجع هناك.

فصل

في ذكر طرف من طريقة محبة الصحابة رضي الله عنهم لنبي الهدى والرحمة ﷺ واتباعهم له

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أكثر الناس نصرة للنبي ﷺ وأشدّهم به إيمانا، وكانت له مواقف كثيرة مشهودة، تدل على شدة المحبة وعظيم الإيمان:

فمنها: ما جاء في [الرياض النضرة في مناقب العشرة] لأبي جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري:

وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: «كَانَ أَبُو بَكْرٍ خَدْنًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَصَفِيًّا لَهُ، فَلَمَّا بُعِثَ ﷺ انْطَلَقَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالُوا: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ صَاحِبَكَ هَذَا قَدْ جُنَّ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا شَأْنُهُ؟ قَالُوا: هُوَ ذَاكَ فِي الْمَسْجِدِ يَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ إِلَهٍ وَاحِدٍ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَقَالَ ذَاكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، هُوَ ذَاكَ فِي الْمَسْجِدِ. يَقُولُ: فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَطَرَقَ عَلَيْهِ الْبَابَ، فَاسْتَخْرَجَهُ، فَلَمَّا ظَهَرَ لَهُ، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكَ؟ قَالَ: «وَمَا بَلَغَكَ عَنِّي يَا أَبَا بَكْرٍ؟» قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَدْعُو لَتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَزَعْمُكَ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ رَبِّي ﷻ جَعَلَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَجَعَلَنِي دَعْوَةَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرْسَلَنِي إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا». قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ مَا جَرَبْتُ عَلَيْكَ كَذِبًا، وَإِنَّكَ لَخَلِيقُ

بِالرَّسَالَةِ؛ لِعَظَمِ أَمَانَتِكَ، وَصَلَتِكَ لِرَحْمَتِكَ، وَحُسْنِ فِعَالِكَ، مُدَّ يَدَكَ، فَأَنَا أَبَايُعُكَ، فَمَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ، فَبَايَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَصَدَّقَهُ وَأَقَرَّ أَنْ مَا جَاءَ بِهِ الْحَقُّ، فَوَاللَّهِ مَا تَلَعَثَمَ أَبُو بَكْرٍ حَيْثُ دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ»^(١) اهـ.

وأخرج الحاكم في [مستدرکه] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قال: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَوْا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ؟ قَالَ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: لَنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ. قَالُوا: أَوْ تُصَدِّقُهُ إِنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لِأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ. فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ»^(٢) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وحديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: «لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى

(١) [الرياض النضرة في مناقب العشرة] للإمام أبي جعفر الطبري، تحقيق / عيسى عبد الله محمد

مانع الحميري، ط / دار الغرب الإسلامي - بيروت، عام ١٩٩٦م الطبعة الأولى (١ / ٤١٥).

(٢) [المستدرک علی الصحیحین] للإمام الحاكم، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، عام

النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتُ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفِي النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يُرْعْنَا إِلَّا وَقَدْ أَتَانَا ظُهُراً، فَخُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا هِيَ ابْنَتَايَ - يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ - قَالَ: «أَشْعَرْتُ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ»، قَالَ: الصُّحْبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الصُّحْبَةُ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعَدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ، فَخُذْ إِحْدَاهُمَا، قَالَ: «قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ»^(١).

وفي بعض الروايات: قالت عائشة - رضي الله عنها: «فَوَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي يَوْمَئِذٍ»^(٢)، وهي في [مسند إسحاق بن راهويه] بزيادة: «لَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ بَعْدَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «نِعْمَ الصُّحْبَةُ»»^(٣).

وأثناء الهجرة وفي الطريق جلس النبي ﷺ وأبو بكر ﷺ في غار ثور، وقريش قد أرسلت الطلب ليحضروهم، وجعلت الجوائز لمن يأتي بالنبي ﷺ، وبينما هم في الغار، وإذ بالطلب حولهم، حتى إن أحدهم لو نظر أسفل منه لراهم، «فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: وَاللَّهِ لَوْ رَأَى أَحَدُهُمْ

(١) [صحيح البخاري] (٣ / ٢٣، ٢٤).

(٢) [السيرة النبوية] لابن إسحاق، ط / دار الجيل، المحقق د / طه عبد الرؤوف سعد (٣ / ١١).

(٣) [مسند إسحاق بن راهويه] ط / دار الإيمان - المدينة المنورة، عام ١٤١٢ هـ (٢ / ٥٨٤).

مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ لِأَبْصَرْنَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا ظَنُّكَ بِأَثْنَيْنِ اللَّهِ تَالِثُهُمَا»^(١).

وفي ذلك أنزل الله قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، يقول الله سبحانه: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَجْعَلُ اللَّهُ مَعَنَا قَائِلًا فَانْزِلْ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، ومنها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا تَبْكُ، إِنَّ أَمَّنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَا تَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ»^(٢).

وأخرج البيهقي في كتابه [الاعتقاد] بسنده: أن أبا هريرة قال: والذي

(١) صحيح البخاري، المناقب (٣٦٥٣)، صحيح مسلم فضائل الصحابة (٢٣٨١).

(٢) [صحيح البخاري] (١/ ١١٩، ١٢٠) و (٤/ ١٩٠، ١٩١).

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَخْلَفَ مَا عُبِدَ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: الثَّانِيَّةُ، ثُمَّ الثَّالِثَةُ، ثُمَّ قِيلَ لَهُ: مَهْ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَجَّهَ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فِي سَبْعِمِائَةٍ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا نَزَلَ بِذِي خُشْبٍ قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا أَبَا بَكْرٍ، رُدُّ هَؤُلَاءِ، ثَوِّجْهُ هَؤُلَاءِ إِلَى الرُّومِ، وَقَدْ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ؟ فَقَالَ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَوْ جَرَتِ الْكِلَابُ بِأَرْجُلِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا رَدَدْتُ جَيْشًا وَجَّهَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَا حَلَلْتُ لَوَاءَ عَقْدِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَّهَ أَسَامَةَ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِقَبِيلٍ يُرِيدُونَ الْإِزْدَادَ إِلَّا قَالُوا: لَوْلَا أَنَّ لِهَؤُلَاءِ قُوَّةَ مَا خَرَجَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ مِنْ عِنْدِهِمْ، وَلَكِنْ نَدْعُهُمْ حَتَّى يَلْقَوْا الرُّومَ، فَلَقَوْا الرُّومَ فَهَزَمُوهُمْ، وَقَتَلُوهُمْ، وَرَجَعُوا سَالِمِينَ، فَتَبَثُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ»^(١).

ومن ذلك حديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: «قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى الْمُنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْمُنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: «اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»^(٢). أخرج الترمذي، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه عن أبي بكر رضي الله عنه.

(١) [الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة] للإمام أبي بكر البيهقي،

تخريج وتعليق / فريخ بن صالح البهلال، ط / رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ص (٤٢٢، ٤٢٣).

(٢) [سنن الترمذي] (٥ / ٥٥٧) رقم الحديث (٣٥٥٨)، وجاء عند أحمد رحمه الله من طريق أخرى رجال

ومن المواقف: ما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مَا كَانَ لَنَا خَمْرٌ غَيْرَ فَضِيخِكُمْ هَذَا الَّذِي تَسْمُونَهُ: الْفَضِيخُ، فَإِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِي أَبَا طَلْحَةَ وَفُلَانًا وَفُلَانًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: وَهَلْ بَلَّغَكُمْ الْخَبْرُ؟ فَقَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: حُرِّمَتِ الْخَمْرُ، قَالُوا: أَهْرِقْ هَذِهِ الْقِلَالَ يَا أَنَسُ، قَالَ: فَمَا سَأَلُوا عَنْهَا وَلَا رَاجِعُوهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ»^(١).

وفي حديث أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرٍ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَتَسَاوَرْتُ لَهَا، رَجَاءً أَنْ أُدْعَى لَهَا، قَالَ: فدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَقَالَ: «امْشِ وَلَا تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ»، قَالَ: فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى مَاذَا أَقَاتِلُ النَّاسُ؟ قَالَ: «قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٢) أخرج بهذا اللفظ مسلم، وأصله في البخاري.

وفي حديث خروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه في حديث طويل، وفيه: أن عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه وكان

(١) [صحيح البخاري] (٥ / ١٨٩) واللفظ له، و [صحيح مسلم] (٣ / ١٥٧٠، ١٥٧١) رقم الحديث (١٩٨٠).

(٢) [صحيح البخاري] (٤ / ٢٠٧)، و [صحيح مسلم] (٤ / ١٨٧١، ١٨٧٢) رقم الحديث (٢٤٠٥) واللفظ له.

إذ ذاك مشركا - لما رجع إلى قريش قال لهم: «أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكَسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ كَمَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَحَّمْ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعْتَ فِي كَفٍّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهُهُ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يَحْدُثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ» الحديث، أخرجه البخاري في صحيحه^(١).

هذه بعض الصور الجليلة الدالة على عظيم محبة الصحابة ﷺ للنبي ﷺ، وحرصهم على اتباع أوامره والتسليم له.

ووراء هذه المواقف المذكورة - مما طويينا ذكره طلبا للاختصار - مواقف أخرى عظيمة، قد حفلت بها دواوين السنة، وازدانت بها كتب التواريخ والسيرة، وهؤلاء هم السلف الصالح الذين يجب علينا اتباعهم، واقتفاء آثارهم في معرفتهم لحق النبي ﷺ وعملهم بسنته.

(١) [صحيح البخاري] (٣ / ١٧٨ - ١٨٤).

فصل

في ذكر بعض أقسام المخالفين لشهادة

أن محمداً رسول الله ﷺ

أيها الإخوة في الله، قد بينا فيما سبق حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله، التي من عمل بها والتزم بها ظاهراً وباطناً فهو الصادق في شهادته، ومن خالفها فإنه على خطر عظيم.

والمخالف لهذه الشهادة أقسام:

فقسم: لا يؤمن برسالة محمد ﷺ وينكرها جملة وتفصيلاً، تكديباً أو عناداً، كحال المشركين.

وقسم: يؤمن برسالة النبي محمد ﷺ لكن ينكر عمومها، ويقول: إنها خاصة بالعرب، كحال طوائف من أهل الكتاب.

ويقال لهؤلاء وأولئك: يقول الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨] ويقول - سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] ويقول - سبحانه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَاعَتِ اللَّهُ بِمَحْدُونٍ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وليس مقصودنا في هذه الكلمة استقصاء الرد على هؤلاء وغيرهم من الطوائف، فإن علماء الإسلام وأئمتهم قد أجادوا في ذلك، وصنفوا فيها

المصنفات، فمن أراد الاستزادة فعليه مراجعة المطولات.

وقسم: يشهدون أن محمداً رسول الله، وينتسبون للإسلام، لكنهم خالفوا حقيقة هذه الشهادة بأنواع ومراتب من المخالفات، بعضها أعظم من بعض. فقسم منهم: بالغ في الغلو فيه ﷺ، وجعله نورا أزليا ينتقل في الأنبياء، حتى جاء ﷺ، ومنهم من يزعم أنه مظهر يتجلى الله فيه، والعياذ بالله.

فالأول: قول الغلاة الشيعة والباطنية، وأيضا غلاة الصوفية.

والثاني: هو قول أهل وحدة الوجود.

وكل هذه أقوال كفريّة لا تصدر عن قلب مؤمن، وإنما يزخرف فيها القول، وتلبس لباس الإسلام؛ تمويهاً على العوام. وإلا فهي مضاهاة لقول من سبق من الأمم الكافرة، مثل اعتقاد النصارى في المسيح، وأنه إله في صورة إنسان.

والرسول ﷺ إنما هو بشر، وعبدٌ من عباد الله، اصطفاه الله وشرفه بأن كان خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، وبشريته تنفي ما زعم فيه من المزاعم الباطلة التي ذكرت سابقاً وما شابهها، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۚ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال ﷻ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣] وقال ﷻ:

«إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ»^(١).

وغير ذلك من الأدلة والنصوص الدالة قطعاً على بشرية محمد ﷺ، وأن الله - سبحانه - إنما ميزه بالرسالة والنبوة، أما الغلو فيه ورفع فوق منزلته فهذا مخالف لحقيقة رسالته، ومخالف لـ (شهادة أن محمداً رسول الله). وقسم منهم: غلا فيه أيضاً، بأن صرف له ﷺ أنواعاً من العبادة، مثل: الدعاء، والخشوع، والصلاة إلى قبره، ونحو ذلك مما هو من خالص حق الله ﷻ.

وقد حذر النبي ﷺ أمته من ذلك، وشدد فيه، وأبدأ فيه وأعاد، بل قبل ذلك القرآن الكريم، فإن الله - سبحانه - خص الدعاء والخشوع والصلاة ونحوها من العبادات به سبحانه.

يقول ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ويقول - سبحانه - واصفاً أفضل عباده: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال - سبحانه - لرسوله ﷺ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأُحَرِّ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال أيضاً ﷻ: ﴿قُلْ إِن صَلَائِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وقال ﷺ في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تطروني

(١) [صحيح البخاري] (١ / ١٠٤، ١٠٥)، و [صحيح مسلم] (١ / ٤٠٢) رقم الحديث (٥٧٢) (٩٢).

كَمَا أَطَرَّتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(١) أخرجاه.

وفي [الصحيحين] أيضا عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفَقَ يَطْرَحُ خَمِيصَتَهُ لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»؛ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»^(٢) قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»^(٣).

ونهيهِ ﷺ، وتشديده في اتخاذ القبور مساجد بالصلاة لله عندها، وإخباره بلعن من فعل ذلك، مع أنه لم يعبدها ولم يدعها، وإنما ذلك ذريعة لعبادتها والشرك بها، فكيف بمن عبدها، وتوجه إليها، ونذر لها، وطاف بها، وذبح لها، ودعا أهلها، وطلب منهم النفع والضرر.

قال القرطبي - رحمه الله: ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محذقة لقبره ﷺ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة - إذ كان مستقبل المصلين - فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني

(١) [صحيح البخاري] [٤ / ١٤٢].

(٢) [صحيح البخاري] [١ / ١١٢] و [٤ / ١٤٤]، و [٥ / ١٤٠]، و [صحيح مسلم] [١ / ٣٧٧] رقم الحديث (٥٣١).

(٣) [صحيح مسلم] [١ / ٣٧٦] رقم الحديث (٥٢٩).

القبر الشماليين، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره. اهـ^(١)

وبهذا يتبين أن الله - سبحانه - قد صان قبره ﷺ إجابة لدعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»^(٢)، وأن من توجه إليه إنما هو في الحقيقة قاصد لما قام في قلبه أنه قبر النبي ﷺ، وإلا فقبره ﷺ لا يمكن استقباله ولا الوصول إليه.

بل هو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - يرحمه الله تعالى: إن الوصول إلى قبره ﷺ غير مقدور ولا مأمور^(٣) ا. هـ. وذلك بعد إحاطته بثلاثة جدران. وقسم: غلوا فيه ﷺ، وزعموا أنه يعلم الغيب ويعلم أحوالهم وما هم عليه، بل وصل ببعضهم أن زعم أنه يشاهده ويجتمع به يقظة لا مناما.

وهذا تكذيب لكتاب الله وكفر بالله ﷻ، يقول - سبحانه: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥] ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [هود: ١٢٣]، ويقول ﷻ: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

(١) [المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم] للإمام القرطبي، ط / دار ابن كثير (٢ / ١٢٨).

(٢) [موطأ الإمام مالك] رواية يحيى بن يحيى الليثي، عن عطاء بن يسار مرسلا ص (٤١٤).

(٣) [كتاب الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية] تأليف شيخ الإسلام ابن

تيمية، طبع ونشر / رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ص (١٣٠).

ويقول - سبحانه وتعالى - أمرا نبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] ويقول ﷺ أمرا نبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْرَثْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وأما أدلة وفاته ﷺ فكثيرة:

منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِثْمٌ مِّتُّنَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقوله ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشِّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ومنها قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥] وفي حديث عائشة في قصة وفاته ﷺ، وفي آخرها قال ﷺ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»^(١) ثم فاضت روحه ﷺ.

وقسم من الناس: جفا في حق النبي المصطفى ﷺ، وسنته الصحيحة، فأخذوا ينكرون طائفة من أحاديث النبي ﷺ، تارة بدعوى أن العقل لا يقبلها، فلما تعارض فهم عقولهم مع ما صح سنده من سنة المصطفى ﷺ نبذوا السنة وراء ظهورهم؛ تقديم ما منهم للعقل على النقل، وما علموا أن العقل الصريح لا يمكن أن يعارض النقل الصحيح، ومتى توهم هذا التعارض فإن المتهم في ذلك عقل من توهم التعارض، وإلا فالنص الصحيح مقدم بكل حال.

(١) [صحيح البخاري] (٥ / ١٣٨، ١٣٩) و (٧ / ١٩٢).

وهذا القسم من الناس ضال مبطل، مخالف لمقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ.

وقد تقدم بيان الأدلة في ذلك، ونقل قول الشافعي - رحمه الله: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد.

وتارة يرد السنة بدافع الهوى وغلبة الشهوات، وقد كثر هذا في الأزمان المتأخرة، حتى صار ينطق في الأمور الشرعية بتحليل أو تحريم من ليس أهلاً لها، وهذا من أعظم الجرم.

يقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

هذا وإن من الناس من خالف حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله بما هو دون الكفر، وإن كان خطيراً يجب الحذر منه.

فمن ذلك: الحلف بالنبي ﷺ وهذا شرك أصغر، وذريعة للشرك الأكبر. يقول ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ»^(١)، وفي الحديث الآخر: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»^(٢).

(١) [سنن أبي داود] (٥٧٠ / ٣) رقم الحديث (٣٢٥١)، و [سنن الترمذي] (١١٠ / ٤) رقم الحديث (١٥٣٥) واللفظ له.

(٢) [صحيح البخاري] (٢٣٥ / ٤)، و [صحيح مسلم] (١٢٦٧ / ٣) رقم الحديث (١٦٤٦) من حديث ابن عمر

وقسم من الناس: خالف حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله بالابتداع في الدين، وكل بدعة أحدثت فهي مخالفة لحقيقة شهادة أن محمداً رسول الله؛ لأن من حقيقتها ألا يعبد الله إلا بما شرع ﷺ، فإذا تقرب العبد لله بالبدع فقد خالف مدلول الشهادة.



فصل

في حكم الاحتفال بالمولد النبوي

ومن البدع التي ظهرت وانتشرت واستشرت في المجتمعات الإسلامية، وخصوصاً في أيام شهر ربيع الأول - بدعة المولد النبوي، ولما كانت البلوى قد عمت بها في هذه الأزمان، رأينا أن نعرض لها بشيء من التفصيل، فنقول وبالله التوفيق:

إن الأصل في هذا الدين الذي دلت عليه الدلائل القطعية من الكتاب والسنة: أن لا يعبد إلا الله، وألا يعبد الله إلا بما شرع - سبحانه - في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ، ومن هنا قال أهل العلم: إن العبادات توقيفية، بمعنى: أن المسلم لا يتقرب إلى الله إلا بما شرعه - سبحانه - وتعالى، وبينته سنة رسوله ﷺ، أما من قصد التقرب إلى الله بأعمال ظنها حسنة في عقله أو أخذها عن غيره وإن كان معظماً من العلماء أو من غيرهم - فهذا عمله مردود مبتدع وإن قصد الخير؛ لذا جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ)، قاله لأقوام يسبحون ويكبرون ويهللون ويحمدون، ويعدون ذلك بالحصى، ولما نهاهم قالوا: (مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ)^(١).

وهنا أصل أيضاً متقرر معلوم عند علماء الإسلام، وهو أنه عند حدوث

(١) انظر [سنن الدارمي] تخريج وتحقيق وتعليق / السيد عبد الله هاشم يماني المدني توزيع رئاسة

إدارة البحوث العلمية والإفتاء. في المقدمة، باب كراهية أخذ الرأي، (١ / ٦٠، ٦١) رقم الحديث (٢١٠).

التنازع يجب الرد إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فما وجدناه فيه أخذنا به وعملنا به، وما لم نجده لم نتقرب إلى الله به.

يقول الله ﷻ: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَزِدْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ويقول - سبحانه - أيضا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ويقول ﷻ في حديث عائشة - رضي الله عنها - الذي عده أهل العلم ميزان العمل الظاهر - يقول ﷻ: «مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، وفي رواية: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).

إذا تقرر هذا - وهو بحمد الله متقرر عند علماء الإسلام - نرجع إلى مسألة المولد النبوي، فنقول: لما كان بعض العلماء المتأخرين قد استحسناها، وقد شنع فيها غيرهم من العلماء والمحققين وذكروا بدعيتها، فكانت عندنا من مسائل التنازع، فهنا نرجع إلى الأصل في مسائل التنازع، ألا وهو الرد إلى كتاب الله، وإلى سنة رسوله ﷺ، ونحن إذا رجعنا لكتاب الله لم نجد لهذه المسألة أصلا يعتمد عليه، وبتتبع سيرته وسنته ﷺ لم ينقل لنا أنه أمر بالاحتفال بمولده، أو أنه احتفل بمولده، أو أن أحدا احتفل بمولده في عهده ﷺ فأقره، مع أنه ﷺ قد عاش ثلاثا وستين سنة، وقد صحبه وآمن به رجال هم أشد

(١) [صحيح البخاري] (٨ / ١٥٦) معلقا، و [صحيح مسلم] (٣ / ١٣٤٣، ١٣٤٤) رقم الحديث (١٧١٨) (١٨).

(٢) [صحيح البخاري] (٣ / ١٦٧)، وصحيح مسلم (٣ / ١٣٤٣)، رقم الحديث (١٧١٨ / ١٧) واللفظ له.

الناس محبة له وتوقيرا وتعظيما وفهما لمراد الله والرسول، بل بذلوا أرواحهم دفاعا عنه ﷺ وذبا عن دينه ﷺ، وحرصوا على متابعتة في كل صغيرة وكبيرة، ونقلوا لنا سنته ﷺ ولم يخلوا بشيء منها، حتى نقلوا لنا اضطراب لحيته في الصلاة إذا استفتح، فلا يمكن أن يكون الاحتفال بمولده قد عمل في زمنه ﷺ، ولم ينقل مع تعاقب السنين وتوافر الهمم والدواعي لنقله.

ثم نظرنا أفضل القرون بعده ﷺ وأحب الناس إليه وهم أصحابه، فلم ينقل عنهم ناقل أنهم احتفلوا بمولده ﷺ لا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ولا عمر الفاروق رضي الله عنه، ولا عثمان ذو النورين رضي الله عنه، ولا علي بن أبي طالب صهر النبي ﷺ وابن عمه وأبو سبطيه رضي الله عنه، ولا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، بل ولا التابعين ومن تبعهم بإحسان لا في المائة الأولى ولا الثانية ولا الثالثة، مع قيام المقتضي - الذي يذكره أهل العصر الآن - وانتفاء المانع الحسي من ذلك.

فعلم أنهم إنما تركوه لقيام المانع الشرعي وهو أنه أمر لم يشرعه الله ﷻ ولا رسوله ﷺ، ولا هو مما يحبه الله ويرضاه ولا مما يقرب إليه زلفى، بل هو بدعة حادثة تتابع على تركها أفضل البشر ﷺ، وأفضل القرون رضي الله عنهم، وأفضل علماء الأمة علماء الصدر الأول من الإسلام، وفي هذا الدليل العظيم والأصل الأصيل مقنع لمن فتح الله على قلبه وأنار بصيرته ورزقه التوفيق والهدى والسداد.

وهذا الذي ذكرناه من أن السلف لم يفعلوا هذا المولد اتفق عليه علماء المسلمين ممن يرى إقامة المولد ومن لا يراه.

والاحتفال بالمولد إنما حدث في القرن الرابع على يد بني عبيد القداح الذين يسمون بـ (بالفاطميين)، وهؤلاء القوم قد بان لعلماء الإسلام ضلالتهم وأنهم من الإسماعيلية الباطنية، ولهم مقالات وأفعال كفرية فضلا عن البدع والمنكرات، فليسوا أهلا للاقتداء والتأسي.

ثم إن الله - سبحانه وتعالى - قد أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة فقال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وإحداث مثل هذه الموالد فيه استدراك على الله، وأن الدين لم يكمل حتى جاء في القرون المتأخرة من زاد فيه، ولا شك أن هذا تكذيب لظاهر القرآن واستدراك على الملك العلام، نعوذ بالله من الخذلان، ثم إن رسول الله ﷺ قال في الحديث الصحيح عنه ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ»^(١).

ولا شك أن نبينا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء، وأفضلهم وسيدهم وأنصحهم لأمته وأوضحهم بيانا وأفصحهم لسانا، فلو كان الاحتفال بالمولد خيرا وقربة لبادر ﷺ لبيانه لأمته ولدلهم عليه وحثهم، فلما

(١) [صحيح مسلم] (٣ / ١٣٧٢، ١٣٧٣) رقم الحديث (١٨٤٤).

لم ينقل ذلك علمنا قطعا أنه لا خير فيه، فضلا عن كونه قربة لله سبحانه.

ثم أيضا يقال لمن أراد الاحتفال بالمولد النبوي: في أي يوم تحتفل؟ وذلك لأن أهل السير قد اختلفوا في مولده ﷺ.

فمنهم من قال: في رمضان، ومنهم من قال: في ثامن ربيع الأول، ومنهم من قال: إنه في ثاني عشر ربيع الأول، وقيل غير ذلك. فكيف يتم لكم الاحتفال؟ أم هل ترى ولادته قد تكررت؟

إن الاضطراب في تحديد تاريخ ولادته التي هي مبنى الاحتفال عند من يحتفل به دال أنه ليس من الشرع في شيء، إذ لو كان مشروعا لاعتنى المسلمون بضبطه وبيانه، شأنه شأن مسائل الشرع والقرب الأخرى.

ثم أيضا يقال: هب أن مولده ﷺ في ربيع الأول، فإن وفاته ﷺ كانت أيضا في شهر ربيع الأول، أي في نفس الشهر فليس الفرح بمولده بأولى من الحزن على وفاته ﷺ، وهذا ما لم يقل به أحد من قبل.

هذا وإن هذه المسألة واضحة بحمد الله لمن أمعن النظر ودققه وبحث ومحص، ولم يكن ديدنه التقليد دون دليل، وإن هذه المسألة مما لبس بها إبليس لإغواء بني آدم وإضلالهم.

وقد وجد في هذه الموالد من المفاسد ما يظهر معه جليا أنها تلبس

إبليس، وذلك من أمور:

منها: اعتقاد التقرب إلى الله بهذا الاحتفال، وقد قدمنا أن الأصل في القربات التوقيف والدليل، ولا دليل هنا.

ومنها: ما يحصل فيها من منكرات عظيمة، منكرات عقديّة، ومنكرات أخلاقيّة.

فمن المنكرات العقديّة - وهي أخطرها: ما يحدث فيها من المدائح التي قد جاء في بعضها الغلو فيه ﷺ حتى أوصلوه لمرتبة الألوهية وصرفوا الدعاء له، يقول البوصيري في برده:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به

سواك عند حلول الحادث العمم

نعوذ بالله من الخذلان، فأين رب السماوات والأرض؟ أين الرحيم الرحمن؟ إذا صرف للرسول ﷺ اللوذ وخصه بذلك في حال الشدة.

ويقول أيضا في مبالغة أخرى وغلو زائد:

فإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

ولا شك أن هذا محض حق الله، وقد صرفه للرسول ﷺ، دفعه لذلك الغلو الزائد وإرجاف إبليس وجنده الذين ينشطون في مثل هذه المواطن. وهذا من الشرك الذي أخبر الله أنه لا يغضره، نسأل الله السلامة والعافية.

ومما يحدث في الموالد: المنكرات الأخلاقية، وما يحدث فيها من اختلاط الرجال بالنساء، بل ورقصهن معهم والسهر الطويل على ذلك، حتى أضحت مرتعا للفساق والبطالين ومناخا مناسبا لهم.

ومنها: ما قام به البعض من الإنكار على من لم يعمل هذه الموالد، بل وصل ببعضهم الأمر حتى كفروهم وكفروا من ينكرها.

ولا شك أن هذا من استدراج الشيطان لهم وتزيينه لهم وإشراك قلوبهم هذه البدعة المنكرة، والعياذ بالله، فابتدعوا بدعة، وعملوا بها ثم كفروا من لم يتابعهم ومن أنكر عليهم نصحا لهم ليردوهم إلى دين الله القويم، وهذا من شؤم البدع والمعاصي؛ إذ لا تزال بصاحبها حتى ترديه، والعياذ بالله.

هذا وربما استدلل بعض من يقيم هذه الاحتفالات بأدلة يظنها حقا وهي في الحقيقة سراب بقيعة، وهي دائرة بين نص صحيح غير صريح بل ومحرف عن موضعه، وبين نص ضعيف لا تقوم به حجة.

فمن ذلك ما استدلل به بعضهم من قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨] قال: إن الفرح به ﷺ مطلوب بأمر القرآن وذكر الآيات، ثم قال: فالله أمرنا أن نفرح بالرحمة، والنبى ﷺ أعظم الرحمة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] هكذا قال واستدل.

فنقول وبالله التوفيق والسداد:

أولاً: إن هذا الاستدلال بالآية لم يسبقه إليه السلف، ولا قالوا به، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وإحداث أمر لم يعهده السلف مردود على صاحبه، ومدار تفاسير السلف لهذه الآية وأقوالهم فيها على أن فضل الله ورحمته يراد بها الإسلام والسنة، كما بين ذلك ابن القيم - يرحمه الله - في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية).

ثم يقال أيضاً لهذا المستدل: إنك فسرت الرحمة هنا والفرح بها بالمولد النبوي والفرح به، وعضدت ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهذه الآية في إرساله لا في مولده وبين مولده وإرساله ما يقارب الأربعين عاماً، وهكذا جميع النصوص التي فيها وصف النبي ﷺ بالرحمة، إنما يوصف بها بعد البعثة والإرسال والنبوة، ولم يثبت فيما نعلم وصف مولده بالرحمة، فلا يتم له الاستدلال بالآية.

وربما استدلل بعضهم بما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَقَّ عَنْ نَفْسِهِ»^(١)، فخرج السيوطي على هذا الحديث عمل المولد.

ويجاب عن هذا: بأن الحديث ضعيف أنكره أهل العلم بالحديث، قال

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٩-٣).

مالك - رحمه الله - لما سئل عن هذا الحديث: (أرأيت أصحاب رسول الله ﷺ الذين لم يعق عنهم في الجاهلية، أعقوا عن أنفسهم في الإسلام؟ هذه الأباطيل)^(١)، والحديث فيه عبد الله بن محرر وهو ضعيف، قال عبد الرزاق - رحمه الله - بعد أن ذكر الحديث في [مصنفه]: (إنما تركوا ابن محرر لهذا الحديث)، ذكر ذلك ابن القيم في [تحفة المودود]^(٢). وفي [مسائل أبي داود]: أن أحمد - رحمه الله - لما حدث بهذا الحديث قال: هذا منكر، وضعف عبد الله بن محرر.

بل قال البيهقي - رحمه الله - راوي الحديث: روى عبد الله بن محرر في عقيقة النبي ﷺ عن نفسه حديثاً منكراً، وذكر الحديث بإسناده ثم قال: قال عبد الرزاق: إنما تركوا عبد الله بن محرر لحال هذا الحديث، وقد روي من وجه آخر عن قتادة، ومن وجه آخر عن أنس، وليس بشيء. ١. هـ^(٣)، وكذلك حكم النووي - رحمه الله - على الحديث بالبطلان، وبهذا يتبين سقوط الاستدلال به لما عرفت من حاله.

(١) انظر: [المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات الشرعية لأمّهات مسائلها المشكلات] لابن رشد ط / مطبعة السعادة بمصر - عام ١٣٢٥ هـ، الطبعة الأولى (٢ / ١٥).

(٢) [تحفة المودود بأحكام المولود] لابن قيم الجوزية، حققه وخرج أحاديثه / عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق ص (٨٨).

(٣) [السنن الكبرى] للبيهقي وفي ذيله [الجواهر النقي] للمارديني، طبعة / مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند (٣٠٠٩).

ولهم استدلالات أخرى كلها لا تقوم بها حجة، وإنما هي كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

وما هي إلا اتباعا للمتشابه الذي أخبر سبحانه: أن اتباعه هو طريق أهل الزيغ.

وبهذا يتضح لك أيها الموفق: أن هذه الاحتفالات والأعياد بدعة، ما أنزل الله بها من سلطان، وأنها مضاهاة لما عليه النصارى الضالون من تكثير الأعياد والاحتفالات، وما ذاك إلا لقلّة الدين وضعف العلم.

وقد أخبرنا ﷺ بذلك حيث قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»^(١).

نسأل الله لنا ولسائر المسلمين التوفيق والسداد، والهداية لطريق الحق والرشاد.

(١) [مسند الإمام أحمد] (٢ / ٥١١) واللفظ له، من حديث أبي هريرة ؓ، و [صحيح البخاري] (٨ / ١٥١) من

الخاتمة

وفي ختام هذه الرسالة أوصي نفسي وسائر إخواني المسلمين بتقوى الله في السر والعلن، والتحقق في ذلك، وأن يكون ديدن الجميع طلب الحق والعمل به، وأوصي إخواني المسلمين جميعاً بالتفقه في الدين، وطلب العلم؛ ليعبدوا الله على بصيرة، ولينالوا الخيرية، يقول ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١).

فعليكم إخواني بالتفقه في دينكم، وتعلم العلم الشرعي المتين، المبني على الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح، وألا تقدموا على أمر إلا بعلم، ولا تحجموا عنه إلا بعلم، ومتى أشكل عليكم الأمر واشتبهت عليكم الطرق، فعليكم بسؤال أهل العلم المعروفين باتباع الحق والعمل به؛ امتثالاً لأمر ربكم ﷻ، حيث يقول سبحانه: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

كما أوصي إخواني من العلماء وطلاب العلم أن يتقوا الله فيما علموا، وأن يبينوا للناس ما خفي عليهم من أمر دينهم، وأن يجتهدوا في طلب الحق بدلائله من الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح، وينشروا ذلك بين الناس، فإن الله قد أخذ على أهل العلم الميثاق على أن يبينوا للناس ما علموا مما يحتاجون إليه، وحذر من اتباع سبيل من كتبه واشترى به ثمناً قليلاً، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا

(١) [صحيح البخاري] (٤ / ٤٩) و (٨ / ١٤٩)، [صحيح مسلم] (٢ / ٧١٩) رقم الحديث (١٠٣٧).

الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرُوا بِهِ مَثْنًا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال - سبحانه - في شأن من لم يرفع بالعلم رأسا: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِنًا فَاقْضِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

وأنتم يا علماء الإسلام ورثة الأنبياء، و خلفائهم في تبليغ رسالة الله «وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»^(١) ولا يصدنكم عن الحق وبيانه كثرة من ضل، فإن الكثرة لا تدل على أن الحق في جانبهم، بل إن الله قد ذم الكثرة في مواضع:

منها قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦] وقوله: ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقوله ﷺ: ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا لَّيْضُلُونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩].

كما أن القلة لا تعني أن الحق ليس معهم، فإن الله قد أثنى على القلة في مواضع:

(١) [مسند الإمام أحمد] (٥ / ١٩٦)، و [سنن أبي داود]، (٤ / ٥٧، ٥٨) رقم الحديث (٣٦٤٢) واللفظ له، و [سنن الترمذي] (٥ / ٤١) رقم الحديث (٢٦٨٢).

فقال: ﴿وَقِيلَ مَنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، وغير ذلك من الآيات. فعلم بهذا أن العبرة إنما هي بالحق وإن كنت وحدك، كما قاله بعض السلف.

وكذلك أيضا يجب على العالم ألا ينساق لما اعتاده الناس وجروا عليه مما يخالف الشرع، بل عليه البلاغ والبيان وإن رفضه الناس، والله - سبحانه - يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ووصية أخيرة لحكام المسلمين وولاية أمورهم وأمرائهم: بأن ينصحوا لرعاياهم ومن تحت أيديهم، وأن يحملوهم على الحق، وأن يحكموا فيهم شرع الله، وأن يسعوا في رفع البدع والضلالات عن بلدانهم، فإن الله سائلهم عن ذلك كله، يقول ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

نسأل الله سبحانه: أن يفتح على قلوب الجميع، وأن يرزقنا جميعا الصلاح والهداية وحب هذا الدين، والعمل على نشره وتوعية الناس به.

(١) [صحيح البخاري] (١ / ٢١٥) و (٣ / ٨٨، ١٢٥، ١٨٩) واللفظ له، و (٦ / ١٥٢)، و [صحيح مسلم] (٣ / ١٤٥٩)

كما أسأله - سبحانه - أن يوفق ولاية أمور المسلمين للحكم بشريعته والعمل بما يرضيه، وأن يرزقهم البطانة الصالحة ويسددهم في القول والعمل، وأن يغفر لنا جميعاً، ويتجاوز عن تقصيرنا وخطايانا، ويلهمنا الصواب ويوفقنا للعمل به، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه وسار على نهجه إلى يوم الدين.



الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
تمهيد	٧
فصل في نسب النبي ﷺ	١٦
فصل في مولده ﷺ	١٨
فصل في مبعثه ﷺ	١٩
فصل في وفاته ﷺ	٢١
فصل في أسمائه ﷺ	٢٦
فصل في خصائصه ﷺ	٢٩
فصل: في أخلاقه ﷺ	٣٣
فصل في صفاته الخلقية ﷺ	٣٦
فصل في بيان حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله بالأدلة	٣٩
فصل في حقوق النبي ﷺ على أمته	٤٩
فصل في ذكر طرف من طريقة محبة الصحابة رضي الله عنهم لنبي الهدى والرحمة	
واتباعهم له	٥٠
فصل في ذكر بعض أقسام المخالفين لشهادة أن محمداً رسول الله	٥٧
فصل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي	٦٤
الخاتمة	٧٥
الفهرس	٧٩

